الفصل الرابع
مصطلح الدين

قال الأمير: لقد أصاب مصطلح الدين من التحريف والاختزال والتضييق ما أصاب سائر المصطلحات والمفاهيم الإسلامية ، لقد انحسرت كلها أو معظمها عن معناها الشامل الواسع الذى عرفه العرب ، ونزل به القرآن والتشريع ، نعم لقد تم تحريف معانيها ، وتبديل أو تضييق دلالتها ، حتى لتشعر كأنك تتكلم أو تقرأ عن مصطلحات جديدة غير التى نطق بها اللسان العربى وتنزل بها القرآن ، إننا بحاجة إلى بذل جهود مضاعفة لإزالة الغشاوة التى أصابت تلك المصطلحات ، وكشف اللبس الواقع حول منظومة هذه المفاهيم ، بحاجة إلى تسليط الضوء يمحو ظلام الجهل والتدليس وتحريف الكلم من بعد مواضعه ، ياويح أعدائنا لقد كادوا لهذا الدين ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ ، ليس مكر ساعات وأفراد ، بل مكر الليل والنهار ، والظالمون والمنافقون بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن العروف ، ويلحدون ويلحنون في مفاهيمنا ومصطلحاتنا ، لقد خرجت أجيال لا تعرف عن الإسلام شيئا ، ولا تدرى من دلالة المصطلح الا النذر اليسير ، الذى لا يهدد الجاهلية ولا يخيف الطواغيت ، ولا يفضح المنافقين ، ولا يردع المفسدين ، لقد حولوا الليوث إلى ظباء ونعام ، وأحالوا الصقور إلى حمائم سلام ، بل فراخ استسلام ، إن الناس اليوم في واد ، ومصطلحاتنا الإسلامية والعربية في واد آخر ، كلاهما ينظر إلى الآخر فينكره ، ولايعرفه فلا هذه هى مصطلحاتنا ، ولاتلك هى مفاهيمنا ، ولا هؤلاء هم مسلمونا ولاعربنا ، ومن بين تلك المصطلحات المظلومة التى تم تحريفها مصطلح الدين ، لقد أصابه سهم المكر ،

وألبس مسوح التزييف والتحريف ، فلا ديننا اليوم هو ديننا ، ولا متدينة الزمن هم متدينونا ، كلاهما غرباء ، كلاهما لانعرفه ، وبالرجوع إلى تراثنا العربى والإسلامى تتجلى لنا هذه الحقيقة والتى نبلورها في هذه الكلمات .

تستعمل كلمة الدين فى اللغة وكلام العرب بمعان شتى وهي : -

١ - القهر والسلطة والحكم والأمر ، والإكراه على الطاعة ، واستخدام القوة القاهرة فوقه ، وجعله عبدًا ، ومطيعًا ، فيقولون دان النا س أي قهرهم على الطاعة ، دنت القوم : أي أذللتهم واستعبدتهم ، و دنته :أي سسته وملكته ، و دينته القوم وليته سياستهم ، وجاء في الحديث« : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» ، أي قهر نفسه وذللها ، ومن ذلك يقال ديان للغالب القاهر على قطر أو أمة أو قبيلة والحاكم عليها .

٢ - الإطاعة والعبدية والخدمة والتسخير لأحد والائتمار بأمر أحد، وقبول الذلة والخضوع تحت غلبته وقهره ، فيقولون دنتهم فدانوا : أي قهرتهم فأطاعوا، و دنت الرجل أي خدمته ، وجاء في الحديث : «أريد من قريش كلمة تدين لهم بها العر ب» ، أي نطيعهم ونخضع لهم ، بهذا المعنى يقال للقوم المطيعين قوم دين ، وبهذا المعنى نفسه قد وردت كلمة الدين في حديث الخوارج : « يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» .

٣ - الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والعادة والتقاليد، فيقولون ما زال ذلك ديني وديدنى : أي دأبي و عادتي . ويقال دان إذا اعتاد خيرًا أو شرًا، وفي الحديث : «كانت قريش ومن دان بدينهم» ، أي من كان على طريقتهم وعادتهم ، وفيه أنه عليه السلام« كان على دين قومه « اى كان يتبع الحدود والقواعد الرائجة في قومه في شؤون النكاح والطلاق والميراث وغير ذلك من الشؤون المدنية والاجتماعية .

٤ - الجزاء والمكافأة والقضاء والحسا ب ، فمن أمثال العرب« كما تـدين تدان» ، أي كما تصنع يصنع بك . وقد روى القرآن قول الكفار« أإنا لمدينون»، أي هل نحن مجزيون محاسبون؟ وفي حديث ابن عمر رضي عنهما قالﷺ: » لا تسبوا السلاطين، فإن كان لا بد فقولوا« اللهم دنهم كما يدينون» ، أي افعل بهم كما يفعلون بنا ، ومن هنا تأتي كلمة الديان بمعنى القاضي وحـاكم المحكمـة ، وسئل أحد الشيوخ عن علي كرم الله وجهه فقال : «إنه كان ديان هذه الأمـة بعـد نبيها » أي كان أكبر قضاتها بعدهﷺ .

استعمال كلمة الدين في القرآن :

يقول الأمير : يتبين مما تقدم أن كلمة الدين قائم بنيانها على معان أربعـة ، أو بعبارة أخرى هي تمثل فى الذهن العربي تصورات أربعة أساسية.

أولها : القهر والغلبة من ذي سلطة عليا.

والثاني : الإطاعة والتعبد والعبدية من قبل خاضع لذي السلطة.

والثالث : الحدود والقوانين والطريقة التي تتبع.

والرابع : المحاسبة والقضاء والجزاء والعقاب.

وكانت العرب تستعمل هذه الكلمة قبل الإسلام بهذا المعنى تارة ، وبذاك أخرى حسب لغاتهم المختلفة؛ إلا أنهم لما لم تكن تصوراتهم لتلك الأمور الأربعة واضحة جلية ولا كان لها من السمو والبعـد نصـيب ، كـان اسـتعمال كلمـة الـدين مشـوبًا بشوائب اللبس والغموض ، ولذلك لم يتح لها أن تكون مصطلحًا مـن مصـطلحات نظام فكر متين ، حتى نزل القرآن فوجـد هـذه الكلمـة ملائمـة لأغراضـه ؛ فاقتناهـا واستعملها لمعانيه الواضحة المتعينة ، واصطنعها مصطلحًا لـه مخصوصًـا ، فأنـت ترى أن كلمة الدين في القرآن تقوم مقام نظام بأكلمه ، يتركب من أجزاء أربعة هي:

١ - الحاكمية والسلطة العليا.

٢ - الإطاعة والإذعان لتلك الحاكمية والسلطة.

٣ -النظام الفكري والعملي المتكون تحت سلطان تلك الحاكمية.

٤ - المكافأة التي تكافئها السلطة العليا على اتباع ذلك النظام والإخلاص له أو على التمرد عليه والعصيان له.

ويطلق القرآن كلمة الدين على معنييها الأول والثاني تارة ، وعلى المعنى الثالث أخرى ، وعلى الرابع ثالثة ، وطورًا يستعمل كلمة الدين ويريد بها ذلك النظام الكامل بأجزائه الأربعة في آن واحد ، ولإيضاح ذلك يجمل بنا النظر فيما يأتي من الآيات الكريمة : -

- الدين بالمعنيين الأول والثاني (الحاكمية والسلطة العليا ، والإطاعة والإذعان لتلك الحاكمية والسلطة)

- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾- ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ففي جميع هذه الآيات وغيرها قد وردت كلمة الدين بمعنى السلطة العليا ، ثم الإذعان لتلك السلطة وقبول إطاعتها وعبديتها ، والمراد بإخلاص الدين لله : ألا يسلم المرء لأحد من دون الله بالحاكمية والحكم والأمر، ويخلص إطاعته وعبديته لله تعالى إخلاصًا لا يتعبد بعده لغير الله ولا يطيعه إطاعة مستقلة بذاتها .

- الدين بالمعنى الثالث (النظام الفكري والعملي المتكون تحت سلطان تلك الحاكمية) .

- (﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ

ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس :١٠٤] - ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [يوسف :٤٠] - ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم :٢٨] ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾ [النور :٢]﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾) [يوسف :٧٦] ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧] ، ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[الشورى :٢١]، المراد بالدين في جميع هذه الآيات هو القانون والحدود والشرع والطريقة والنظام الفكري والعملي الذي يتقيد به الإنسان ، فإن كانت السلطة التي يستند إليها المرء لاتباعه قانونًا من القوانين أو نظامًا من النظم سلطة الله تعالى ، فالمرء لا شك في دين الله عز وجل ، وأما إن كانت تلك السلطة سلطة ملك من الملوك ، فالمرء في دين الملك ، وإن كانت سلطة المشايخ والقسوس فهو في دينهم ، وكذلك إن كانت تلك السلطة سلطة العائلة أو العشيرة أو جماهير الأمة فالمرء لا جرم في دين هؤلاء ، وموجز القول أن من يتخذ المرء سنده أعلى الإسناد وحكمه منتهى الأحكام ثم يتبع طريقًا بعينه بموجب ذلك، فإنه لا شك بدينه يدين .

- **الدين بالمعنى الرابع (الحساب والجزاء)**

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [الذاريات :٥] أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) الماعون ، فقد وردت كلمة الدين في هذه الآيات بمعنى المحاسبة والقضاء والمكافأة.

- **الدين : المصطلح الجامع الشامل**

ثم يقول الأمير : إلى هذا المقام قد استعمل القرآن كلمة الدين فيما يقرب من

معانيها الرائجة في كلام العرب الأول .ولكننا نرى بعد ذلك أنه يستعمل هذه الكلمة مصطلحًا جامعا شاملاً ، يريد به نظامًا للحياة يذعن فيه المرء لسلطة عليا لكائن ما ، ثم يقبل إطاعته واتباعه ويتقيد في حياته بحدوده وقواعده وقوانينه ، ويرجو في طاعته العزة والترقي في الدرجات وحسن الجزاء، ويخشى في عصيانه الذلة والخزي وسوء العقا ب ، ولعله لا يوجد في لغة من لغات العالم مصطلح يبلغ من الشمول والجامعية أن يحيط بكل هذا المفهوم ، وفي الآيات التالية قد استعمل الدين بصفة هذا المصطلح الجامع : الأول والثاني والثالث والرابع ، ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة :٢٩].

فالدين الحق في هذه الآية كلمة اصطلاحية قد شرح معانيها واضع الاصطلاح نفسه عز وجل ، في الجمل الثلاث الأولى، قد ذكرالله تعالى فيها جميع معاني كلمة الدين الأربعة ، ثم عبر عن مجموعها بكلمة الدين الحق .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر :٢٦].

وبملاحظة جميع ما ورد في القرآن من تفاصيل لقصة موسى عليه السلام وفرعون، لايبقى من شك أن كلمة الدين لم ترد في تلك الآيات بمعنى النحلة والديانة فحسب ، وانما أريد بها الدولة ونظام المدينة أيضاً ، فكان مما يخشاه فرعون ويعلنه أنه إن نجح موسى عليه السلام في دعوته، فإن الدولة ستدول ، وإن نظام الحياة القائم على حاكمية الفراعنة والقوانين والتقاليد الرائجة سيقتلع من أصله ، ثم إما أن يقوم مقامه نظام آخر على أسس مختلفة جدًا، وإما ألا يقوم بعده أي نظام ، بل يعم كل المملكة الفوضى والاختلال .

- ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾[آل عمران :١٩] ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ

دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران :٨٥]. ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة :٣٣]. ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال :٣٩] - ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾ [سورة النصر].

المراد بالدين في جميع هذه الآيات هو نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها من الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية ، فقد قال الله تعالى في الآيتين الأوليين : إن نظام الحياة الصحيح المرضي عند الله هو النظام المبني على إطاعة الله وعبديته ، وأما ما سواه من النظم المبنية على إطاعة السلطة المفروضة من دون الله ، فإنه مردود عنده، ولم يكن بحكم الطبيعة ليكون مرضيًا لديه، ذلك بأن الذي ليس الإنسان إلا مخلوقه ومملوكه ، و لا يعيش في ملكوته إلا عيشة الرعية ، لم يكن ليرضى بأن يكون للإنسان الحق في أن يحيا حياته على إطاعة غير سلطة الله وعبديتها، أو على اتباع أحد من دون الله.

وأخبر في الآية الثالثة أنه قد أرسل رسوله ﷺ بذلك النظام الحق الصحيح للحياة الإنسانية - أي الإسلام - وغاية رسالته أن يظهره على سائر النظم للحياة.

وفي الرابعة قد أمر الله المؤمنين بدين الإسلام أن يقاتلوا من في الأرض ولا يكفوا عن ذلك حتى تمحي الفتنة ، وبعبارة أخرى حتى يمحي جميع النظم القائمة على أساس البغي على الله ، وحتى يخلص لله تعالى نظام الإطاعة والعبدية كله.

وفي الآية الأخيرة الخامسة قد خاطب الله تعالى نبيه ﷺ حين الانقلاب الإسلامي بعد الجهد والكفاح المستمر مدة ثلاث وعشرين سنة ، وقام الإسلام بالفعل بجميع أجزائه وتفاصيله نظامًا للعقيدة والفكر والخلق والتعليم والمدنية والاجتماع والسياسة والاقتصاد، وجعلت وفود العرب تتابع من نواحي القطر

وندخل في حظيرة هذا النظام ، فإذا ذاك – وقد أدى النبي رسالته التي بعث لأجلها – يقول له الله تعالى : إياك أن تظن أن هذا العمل الجليل الذي قد تم على يديك من كسبك ومن سعيك ، فيدركك العجب به ، وإنما المنزه عن النقص والعيب والمنفرد بصفة الكمال هو ربك وحده ، فسبح بحمده واشكره على توفيقه إياك للقيام بتلك المهمة الخطيرة ، وأسأله اللهم اغفر لي ما عسى أن يكون قد صدر مني من التقصير والتفريط في واجبي خلال الثلاث والعشرين سنة التي قد قمت بخدمتك فيها . هكذا تكلم الأمير .

ثم ختم الأمير حديثه قائلا : هكذا تتجلى الآيات توضح أن الدين هو السلطة والقهر، وهو القانون والحكم ، وهو الخضوع والذلة ، وهو الحساب والجزاء ، وهوالنظام الشامل للحياة بكل تفاصيلها ومفرداتها العقدية والفكرية والسياسية والجزائية ، فما قولكم أيها الشيخ ؟؟؟

التقط الشيخ أنفاسه بعد هذا السرد الطويل حول كلمة الدين سواءا بمعناها الخاص ، أو بمعناها العام الجامع كما يتصور الأمير وينقل عن أستاذه المودودى فى مصطلحاته الأربعة ، ثم أمسك الشيخ بخيط الكلام فقال : عفوا أيها الأمير ، فبرغم الآيات الكثيرة التى ذكرتها ، التقسيمات التى قسمتها ، والتنميقات اللغوية التى دبجتها ، وبرغم الإسهاب الطويل الذى عرضت من خلاله فهمك وفهم أمرائك لمصطلح الدين ، برغم كل ذلك لم ننس ، ولن ننس ، ولايخيل علينا هذا الكلام ، ذلك لأن لدينا قواعد وأصولا نسير عليها ، وعندنا ميزان دقيق نزن به العبارات والتنميقات ، ولى على حديثك عدة ملاحظات :

أولا : لقد خالفت قولك السابق من أن «العرب حال نزول القرآن عليهم وفى العصر الزاهر للإسلام كان كل واحد منهم يعرف معانى ومصطلحات القرآن حق المعرفة ويدرك أبعادها ويفهم مراميها ، خاصة المصطلحات الأساسية للقرآن – «الإله – الرب – الدين – العبادة – » ،وهاأنت تقرر أن مصطلح الدين لم يكن واضحا

لديهم ، وإنما كان يشوبه شيء من الغموض وذلك بنص كلامك : « ... وكانت العرب تستعمل هذه الكلمة قبل الإسلام بهذا المعنى تارة وبذاك أخرى حسب لغاتهم المختلفة ؛ إلا أنهم لما لم تكن تصوراتهم لتلك الأمور الأربعة واضحة جلية ولا كان لها من السمو والبعد نصيب ، كان استعمال كلمة الدين مشوبًا بشوائب اللبس والغموض ، ولذلك لم يتح لها أن تكون مصطلحًا من مصطلحات نظام فكر متين، حتى نزل القرآن فوجد هذه الكلمة ملائمة لأغراضه ؛ فاقتناها واستعملها لمعانيه الواضحة المتعينة ، واصطنعها مصطلحًا له مخصوصا له ...» ، فما قولك في هذا التناقض؟ هل كانت كلمة الدين عندهم واضحة المعنى والمفهوم ؟ أم كان يشوبها اللبس والغموض ؟ وبالتالى تنقض كل دعاواك من معرفة العرب وفهم كل واحد منهم لمعانى ومقاصد ومصطلحات القرآن ؟ خاصة مصطلحاتك الأربعة .

ثانيا : قد ذكرت فى مقدمة حديثك عن المصطلحات القرآنية أن معانيها قد ضاقت ، ولم يعد الخلف يعرفونها بمفهومها الشامل الواسع الذى كانت عليه وقت نزول القرآن ، وبالتالى قلت : بأن علماء اللغة جعلوا يفسرون معانى الكلمات بما تعارف عليه الخلف من المفهوم الضيق للكلمة ، وتركوا مفهومها الواسع الذى ساد لدى من سبقهم ، وهذا الكلام أيضا يحمل بين طياته دليل بطلانه من عدة أوجه :

١ - أولا علماء اللغة هؤلاء الذين شرحوا هذه المصطلحات بمعناها ومفهومها الضيق المختزل هل جاءوا بهذا الشرح من عند أنفسهم ؟ أم أنهم تلقوه عمن سبقهم من أئمة السلف ؟ إن قلت أنهم شرحوا هذه المعانى من قبل أنفسهم ولم يتلقوها عن السلف فكيف وصلك أنت مفهوم السلف لتلك المصطلحات مادمت تقرر أن هذه المعانى قد طمست وانكمشت ؟ ذلك برغم أنك تنقل عن قواميس اللغة التى تتهم أصحابها أنهم فسروا المصطلحات تفسيرا ضيقا منكمشا بما تعارف عليه الخلف الذين جهلوا حقيقة المعانى وشمولية المصطلحات كما ترى أنت ، فكيف تنقل عنهم المعانى الشاملة لهذة المصطلحات برغم زعمك أن

كتبهم تقتصر على المفهوم الضيق للكلمة والمعنى المجتزأ للمصطلح ؟

٢- وإن قلت بأن علماء اللغة تلقوا كتبهم وقواميسهم عمن سبقهم فهذا معناه أن ماذكره الخلف فى كتبهم هو ماعرفه السلف من لغتهم ونقلوه إلى تلاميذهم وأتباعهم ، فهل تتهم السلف بعدم معرفتهم للمعنى الشامل للمفهوم والمصطلح وبالتالى تنقض دعواك بأن كل واحد منهم كان يدرك ويعرف جيدا مفهوم تلك المصطلحات التى نزل بها القرآن ؟ أم تتهم السلف بعدم إبلاغهم ماقد عرفوه ، وأنهم قد كتموا العلم عن الأمة ؟ وبقى احتمال آخر وهو أن هذه المعانى الشاملة الكاملة التى تذكرها وترددها لم تكن موجودة عند السلف ، ولم يفسروا هذه المصطلحات كما فسرتها أنت ، وكفى بهذا دليلا على أنك جئت فى الدين بما لم يأت به أحد من العالمين لا من السلف ولا من الخلف ، وحسبنا بهذا حجة على بدعتك وقولك فى الدين ما ليس منه .

٣- قولك هذا فيه اتهام للأمة بالتواطؤ والاجتماع على غير الحق ، سواء كان هذا الاتهام موجها إلى عصر السلف أو حتى عصر الخلف ، فهل أطبقت الأمة على اجتزاء واختزال معانى القرآن على الأقل من وقت تدوين المعاجم والقواميس إلى يومك هذا؟ حتى تجىء أنت لتظهر ما أخفاه العلماء أو جهلوه ، وأطبقت الأمة على كتمانه أو جهله منذ ما يزيد عن الألف ومئتى سنة تقريبا ولم يظهره أحد قبلك ، أليس هذا يناقض قول الرسول ﷺ : « فإن أمتى لاتجتمع على ضلالة » ؟ فكيف اجتمعت الأمة فى زعمك على جهل أو كتمان معانى هذه المصطلحات التى هى محور وأساس لفهم القرآن وبغيابها غاب الكثير من معانى الإسلام كما تقول أنت؟ هل عاشت الأمة معظم تاريخها بعيدا عن أساسيات الإسلام وبمنأى عن فهم محاور القرآن الأساسية ؟ إن قلت نعم فقد هلكت لحكمك على الأمة بالجهل أو الكتمان وفى الحديث : « من قال هلك الناس فهو أهلكهم » ، وإن قلت لا بل الأمة مازالت بخير ولازال فيها فى كل عصر طائفة ظاهرة على الحق

تقوله وتعمل به ، وهذا هو الصواب ، لزمك أن تقر وتعترف بخطأ فكرتك وما ذكرته عن الأمة سواءا وصفها بالجهل ، أو باحتمال كتمانها معانى المصطلحات الأساسية لفهم القرآن الكريم ومحاوره الرئيسية .

هذه ملاحظات عامة لابد من ذكرها أولا قبل التعرض لحديثك عن مفهوم الدين والمعنى الجامع لهذا المصطلح كما تراه وتذكره فى كلامك ، والذى لم يخل من الأخطاء التى وردت أثناء حديثك عن المصطلحات السابقة – الإله – الرب – العبادة – لنجد نفس الأخطاء تتكرر بنفس الصورة ولم تستفد مما ذكرته لك من قبل واسمح لى بهذه المقدمات بين يدى التعليق على المفهوم الجامع لكلمة الدين كما تراه أنت .

أولا : كلمة « المعنى الجامع» تفيد اشتمال المفهوم على أكثر من معنى اجتمعت كلها تحت هذا المفهوم ، فهو حقيقة مركبة من عدة أجزاء وإلا فكيف يكون جامعا مالم يشتمل العديد من المعانى ؟.

ثانيا : وجود هذه الأجزاء المتعددة دليل على وجود عدة حقائق على المستوى الأحادى لكل حقيقة ، لكن تجميع هذه الحقائق المتعددة فى صورة جامعة لايلزم منه صحة الفرضية النهائية التى ظهرت فيها لاحتمال حدوث خطأ فى عملية التجميع هذه . ولنضرب لذلك مثلا السيارة حقيقة مركبة من عدة جزئيات ، هى مثلا الجسم الخارجى للسيارة ، وعجلة القيادة والفرامل ، والبطارية او المحرك الذى يعمل على تسييرها ، ثم الإطارات التى تسير عليها ، و المقاعد التى يجلس عليها الركاب إلى غير ذلك من أجزاء السيارة ، كل جزء من هذه الأجزاء يعتبر صحيحا فى نفسه ، حقيقة فى ذاته ، غير أن اجتماع هذه الأجزاء المتفرقة مع بعضها لايلزم منه صحة الصورة النهائية التى قد يظهر عليها ، لاحتمال حدوث خطأ ما فى تركيب هذه الأجزاء بعضها ببعض وإن كانت كل جزئية صحيحة وحقيقة فى حد ذاتها، فقد يخطىء المصتع مثلا أو العامل ويقوم بنقل جزء من هذه الأجزاء من مكانه

الصحيح إلى موضع آخر ، أو يربط بين الأجزاء بطريقة غير صحيحة ، وبالتالى ستتغير الصورة النهائية لهذة السيارة على الرغم من اشتمالها على كل أجزاء ومستلزمات السيارة ، نعم الأجزاء كلها موجودة لم يتخلف منها شيء ، ولايستطيع أحد أن ينكر وجودها ، لكن سيختلف الناس على الصورة النهائية للمنتج لا بسبب نقص فى أجزائه، وإنما بسبب نقل جزء من هذه الأجزاء عن موضعه ، أو بسبب طريقة الربط بين كل الأجزاء أو بعضها ببعض ، مما ترتب عليه تعطل بعض الجوانب ، أو إحلال بعض الأجزاء محل غيرها ، أو تضخم الدور الوظيفى لجزء معين على حساب ضمور الدور المنوط بجزء آخر ، أو ربما تتغير الوظيفة الكلية للمنتج النهائى ، وبالتالى تتغير أولويات الأعمال التى يوظف فيها نتيجة تغير الصورة النهائية له .

ثالثا : هذا التجميع النهائى للمنتج فى صورته الكلية الجامعة أنما يكون نابعا من التصور الوظيفى المطلوب والمنتظر لهذا المنتج ، فمن تصور السيارة مثلا وسيلة للنقل والمواصلات ، اهتم بمحركها ، وبإطاراتها ، وبالفرامل وأعطاها الأولوية فى الجهد والتجهيز ، ومن تصورها مثلا مكانا للراحة والاسترخاء نراه يهتم أكثر بالمقاعد ، وبفرشها الوثير ، وسعة المساحة داخلها ، ويبذل فى إعداد ذلك أيضا جهده ووقته وفكره ، لتخرج السيارة فى صورتها النهائية فتقوم بوظيفتها المنوطة بها والتى تصورها الصانع على أكمل وجه ، معنى ذلك أن جهد الإنسان وفكره ووقته وماله ينصب فى جهة معينة بناءا على تصوره لأهمية هذه الجهة والوظيفة المنوطة بها ، فيرتبط بذلك مبعثا وغاية وسلوكا .

رابعا : لو أخذنا الإنسان مثلا نطبق عليه ماسبق نجد عدة احتمالات : نجد من يعتبره كائنا ناطقا ويتصوره على هذا الأساس ، وسنجده بلاشك يفسر كل مايصدر عن الإنسان ، أو يطلب منه بناءا على هذا المفهوم ، فنراه يهتم بطريقة الكلام ، ومخارج الحروف ، وطبقات الصوت ، وحركة الشفاه ، وبالألفاظ التى تصدر عنه، أى أنه سيوجه كل جهده لفهم قضية النطق عند الإنسان ، وتكون هذه القضية

هى محور بحثه وبؤرة اهتمامه ذلك لأنه يعتبرها الصفة الرئيسية والأساس للانسان ، وسنجده يبذل كل جهده ليرتقى بهذا الإنسان من جهة النطق وجانب الكلام . بينما الذين يعتبرون الإنسان كائنا اجتماعيا نراهم وقد انصب جهدهم وبحثهم على جانب آخر هو الجانب الاجتماعى ، الذى اعتبروه الصفة الأساسية للإنسان ، بالتالى يكون محور اهتمامهم هو الارتقاء المدنى والحضارى بالإنسان، بصفته فى الأساس كائنا اجتماعيا ، فيبدؤون فى دراسة سلوكه ومدى تفاعله مع من حوله ، وماذا حقق من انجازات ورقى فى الحياة ، وهل هو منسجم مع مجتمعه ؟ أم يعانى من مشاكل العزلة والابعاد ؟ وكلما نجح الإنسان فى الارتباط بمجتمعه مهما كان نوع وطبيعة الارتباط ، وكلما استطاع الارتقاء المدنى والحضارى ، مهما كان مجال هذا التمدن فهو عند أصحاب هذه النظرية – نظرية الإنسان كائن اجتماعى – هو عندهم إنسان كامل ناجح قد أدى رسالته وقام بوظيفته وأصبح مثلا يحتذى ويقتدى به ، فالجهود المبذولة والوظائف المطلوبة إنما تتحدد بناءا على فهم طبيعة وحقيقة الأشياء وادراك وظيفتها ، وبالتالى تترتب فى حياة الناس والأشياء الأولويات المطلوب تحقيقها . كذلك من يعتبر الإنسان كائنا مفكرا ، سيهتم بجانب الفكر والعقل والفلسفة والمنطق لدى هذا الإنسان ، لأنه يراه الجانب الأساس والصفة الرئيسية فيه ، وبالتالى تنصب الجهود والدراسات وتوسد الوظائف وتحدد الأولويات بناءا على هذا التصور ، وتهمل الجوانب الأخرى فى الإنسان فلا مانع من اهمال جسده ، ولا حرج من قتل روحه ، مادام هو يفكر ويعمل عقله ، فالإنسان عندهم كائن مفكر ، فهذا هو الأساس وتلك هى وظيفته التى يجب أن يهتم بها ويعمل لها ، وينطلق على أساسها .

وبعد هذه المقدمات تعال بنا نناقش تفسيرك للمفهوم الجامع للدين ، ونعرض لما استدللت به من آيات لبيان مدى صحة ما ذهبت اليه .

أولا : ماهى حقيقة الدين ؟

يقول وحيد الدين خان : إن التصور الصحيح للدين ، والذى يمكننا أن نفهم بإدراكه حقيقة كل أجزاء الدين ، والذى يطبق عليه التاريخ الإسلامى كله هو« أن الدين فى حقيقته الأساسية إيجاد علاقة الخوف والمحبة والولاية والتوكل مع الله ....» فالحكمة الجامعة للدين هى علاقة العبد بالله ... إن للدين حقيقة والأشياء الأخرى كلها جوانب من تلك الحقيقة ، ...إن الكفاح الأساسى لدعاة الإسلام كان يرتكز على ترسيخ مفاهيم الله والآخرة فى أذهان الأمة ، وكان السبب فى ذلك أن دعاتنا كانوا يؤمنون بأن هذا هو الأساس الذى تقوم عليه جميع المظاهر الدينية الأخرى » . هكذا يبين الرجل حقيقة الدين الأساسية وهى إيجاد علاقة « نفسية قلبية بين العبد وربه » ، ترتكز على ترسيخ مفاهيم الإله والآخرة فى أذهان الأمة .

ويقول أيضا : « والحقيقة التى لاينكرها أحد أن أعظم شىء يحصل عليه المؤمن بعد اعتصامه بالقرآن هو التأله إلى الله والتعلق به ، وهذه هى غاية المؤمنين وهدفهم السامى فى هذه الحياة الدنيا ، وليس معنى التعلق بالله الإيمان به على الأساس الفكرى كمدير لنظام الحياة ، بل معناه التعلق به والحب الشديد له ، ومعناه الفوز بسجود الاقتراب ، ودعاؤه خوفا وطمعا ، وأن تطرأ على المرء الحالة التى ورد ذكرها فى الحديث « كأنك تراه » . هكذا يوضح أن الدين ليس علاقة فكرية فحسب ، لكنه علاقة تشعر فيها بالحب والقرب والرجاء والخوف ، وتتوثق هذه العلاقة فى نفسه حتى كأنه يراه .

ويقول : « الدين فى حقيقته عنوان لتلك الكيفية التى تظهر فى صورة الدعاء والإخلاص والعبادة والإنابة ، وهذه هى النعمة الكبرى التى ينالها الإنسان بعد إيمانه بالله ، والحقيقة الدينية العليا للمؤمن على المستوى الفردى هى أن يدعو ربه ويتضرع اليه ، ويختصه بعواطف الحب ويجعله مركز اهتمامه وآماله ، وهذه هى الحقيقة الكبرى باعتبار الفرد ، وهو أصل الدين الذى يلاقى به العبد ربه ،

والفوز بالدين هو الفوز بهذة المنحة الربانية ، ومن حرم منها فقد حرم من الدين رغم فوزه بكل شيء » .

ويقول : « نجد لكلمة دين عدة معان ، ولكن المعنى الأصلى الذى سمى به الإسلام دينا هو الذل والخضوع ... والتدين فى الواقع ليس أمرا سياسيا ، ومدنيا بل هو أمر شخصى وذاتى ، الغاية منه أن يخضع العبد نفسه أمام ربه ويذلها بين يديه ، ويختصه بأحاسيسه وعواطفه ، ومن هذا المنطلق كان ابراهيم مسلما مع أنه لم يقم فى حياته نظاما عالميا جامعا ، وبهذا الاعتبار كان النبى ص ذا دين وهو فى مكة : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ ﴾ [الزمر: ١٥] ، وبهذا الاعتبار اعتبرت الصلاة والزكاة دينا ، بينما هما ليستا كل الدين » .

« هذا هو المعنى الحقيقى للدين أنه أولا : شعور نفسى قلبى ، يربط المرء بخالقه سبحانه وتعالى ، ولكن هذا المعنى الحقيقى والأصلى يتفرع عنه وينتج منه معنى آخر هو المعنى الاقتضائى أو اللزومى ، ذلك الذى يظهر فى صورة الاستجابة والطاعة فى كل جوانب الحياة الخاصة بالمرء ، سواءً على المستوى الشخصى أو على مستوى علاقته بما حوله ومن حوله ، وفى ذلك يقول وحيد الدين خان : « وسوف تتأثر حياة المرء العملية اذا تغلغلت فيه هذه الحقيقة الدينية، فهو يختار مايرضاه الله حين يعرض له أمر من الأمور ، ويعرض عما سواه، وتشهد حياته الخارجية على حياته الداخلية وتكون دليلا عليها ، ولايمكنه أن يسلك سبيلا يؤدى به إلى سخط الله وغضبه ، وبهذا الاعتبار تكون السياسة والمدنية كلها دينا » . فالأمر الأول هو حقيقة الدين بينما الثانى هو مقتضى ، هذه الحقيقة الذى يكون مطلوبا من أهل الدين حسب الظروف والوسع ، والأول مطلوب من كل فرد فى كل الأحوال ، ولايصح دين أحد إلا به ، وبهذا الاعتبار كان الأنبياء والمصلحون أصحاب دين ، أما مقتضيات الدين الاجتماعية والمدنية فهى ليست مطلوبة بصفة مطلقة ، بل تكون مطلوبة بحسب الظروف والأحوال ،

وبهذا الاعتبار كان ثمة اختلاف بين الشرائع التى أنزلت على الأنبياء فى كل العصور، ومنهم من أنزلت عليه الأحكام العملية السياسية والمدنية ومنهم من لم تنزل عليه ، وكلهم كانوا ذوى دين صحيح كامل برغم تباين شرائعهم وتفاوتها ».

ولو كان النظام الاجتماعى والسياسى والمدنى هو المعنى الحقيقى والأساسى للدين لتحقق وجوده وتطبيقه مع كل نبى، وإلا كيف يكون نبيا أو رسولا وأساس دينه وتدينه غير قائم فى الواقع ، وغير مطبق فى الحياة ، بل ربما لم يتنزل عليه من الأساس ؟

ثانيا : بعض المقتضيات التبعية للدين :

قال الشيخ : سبق أن بينا أيها الأمير المعنى الحقيقى لكلمة « الدين » ومفهومها الأساسى والأصلى ، لكن ماهى المقتضيات التبعية التى تترتب على هذا المعنى الحقيقى وذلك المفهوم الأول لهذا المصطلح ؟

إن الأصل المطلوب من المرء هو عبادة الله تعالى ، وهى غاية الرسل والرسالات كما أنها حق الله على خلقه ، ولذلك يقول القرآن الكريم ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ هذه هى غايتهم ، وهذا هو هدفهم ، ولما كانت العبادة غاية للخلق وهدفا فقد أمرهم الله بها فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ ، ولما كانت هذه هى رسالة الرسل وغاية بعثتهم فقد قال القرآن ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ ، ولأنها لازمة ومطلوبة فى كل الأحوال لاتخضع لتقديرات الظروف وتغيرات الأحوال فقد أمرالله بها نبيه بصفة دائمة لاتنفك عنه فقال له ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ ، وكل هذه هى المعانى القلبية والمقتضى الأول للدين الذى لايصح أن ينفك عنه الإنسان ، ولاينفك هو عن الإنسان بصفته عبدا لخالقه ، ولذلك جاءت العبادة فى مقابل الاستكبار الذى هو أيضا فى الأساس معنى قلبى داخلى ، ثم تظهر بعد ذلك آثاره ومقتضياته على

الوضع الخارجى للانسان ، فقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ، ولقد فسر ابن عباس قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ : يعنى إياك نوحد ونخاف ونرجو ربنا لاغيرك . ويقول ابن كثير « العبادة فى اللغة الذلة ... وفى الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف » انظر تفسير ابن كثير ، ويقول ابن تيمية « لفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال المحبة »، وقال ابن القيم « العبادة تجمع أصلين غاية الحب وغاية الذل والخضوع » ، ويقول فى نونيته :

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان

يقول وحيد الدين خان : « إن العلاقة بين العبد وإلهه هى علاقة غاية الذل والخضوع ، فحين يتضرع العبد من شدة الخشوع ، وحين تنهمر العبرات من عينيه من خشية الله يهدى العبد أعظم أمانيه وآماله إلى معبوده بكل شوق ، وهو يجد نفسه فى أسمى كيفيات الحب الإلهى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥] .... والحقيقة أن كيفية « الحب - الخوف » هذه لايمكن التعبير عنها تعبيرا صحيحا بالكلمات المتاحة فى معاجمنا ، إنها كيفية تجمع بين غاية الأمل وغاية الرهبة .... إنها مزيج من الحب والخوف حيث يجرى الإنسان نحو الذى يخافه ، ويتمنى وصال الذى يخشى عذابه ، وهى اضطراب كله سكون ، وسكون كله اضطراب » .

« إن العبادة فى معناها الحقيقى واقع حسى » أى شعورى يملك على المرء أحاسيسه « وليست واقعا خارجيا .... إن العبادة فى حقيقتها الخارجية حياة التقوى ، وفى حقيقتها الداخلية إدراك الله إدراكا عميقا ، والتعلق به سبحانه تعلقا متينا ، تلك العلاقة التى يظهر فيه العبد مع خالقه كأنه يراه ، .... إن أعلى مدارك العبادة أن يستغرق العبد فى ذكر سيده ومولاه حتى يشعر كأنه يراه ويحس به ، وهذا الشعور هو منتهى العبادة وحقيقتها وروحها ، وجميع الأعمال من شعائر

ومناسك وشرائع إنما هى طرق ووسائل للوصول اليها » .

« إن علاقة الحب والخشية لله هى غاية فى حد ذاتها يجب أن يسعى الجميع لتحصيلها ، وإنما كل الشرائع العملية والعلمية جاءت لتحقيق هذه الغاية ، الغاية هى إقامة العلاقة بين المخلوق وبين خالقه، وهذه ليست علاقة فكرية أو خارجية إدارية فحسب ، لكنها فى المقام الأول علاقة قلبية نفسية روحية ، ثم تنعكس على الجوارح والأفكار والسلوك وعلى كل جوانب الحياة ، وهذه العلاقة هى الدين بمفهومه الأول والأصيل والأساسى » .

إن المقتضيات التبعية للدين والعبادة تتمثل على سبيل الإجمال فى أمور أربعة :

الأول : الطاعة لتعاليم وأحكام هذا الدين الذى أقام العلاقة الروحية بين العبد وخالقه ، فانعكست هذه العلاقة فى صورة الطاعة له سبحانه وتعالى وتسليم الاختيار له جل جلاله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦] ، ثم هذه الطاعة منها ما هو مطلوب على مستوى الفرد ، وهو مايسمى بالفرض العينى مثلا ، ومنها ما هو مطلوب على مستوى الأمة أو المجتمع ، وهذه فروض الكفايات ، التى قد تتعين أحيانا بحسب الحاجة إليها ، فالصلاة فرض عين بينما الجهاد فرض كفاية وقد يتعين فى بعض الحالات ، ومنها ما هو مطلوب ندبا واستحبابا .

الثانى : التبليغ عن الله وعن رسوله : فما دمت قد ذقت طعم القرب وحلاوة العبادة لله لابد أن تدعو غيرك إليها قدر استطاعتك ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة] ، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر]- ، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء] ، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل] ، ثم الأمة مكلفة بالبلاغ هى أيضا ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

[البقرة] ، ثم هذه الشهادة وذاك البلاغ يتطلب منكم قراءة القرآن عليهم وتفهيمهم اياه ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت] ، وتعرض الدعوة بقدر حاجة المدعو، وبحسب طاقة الداعية كما هو معلوم ، حتى ان الإسلام يرضى منك بأقل القليل مادام هذا هو مافى وسعك ، ففى الحديث « بلغوا عنى ولو آية » .

الثالث : النصيحة والأمر بالمعروف ، وهذه ضمانة لوقاية الدين من التحريف أو الاستهانة به أو إهماله ، وتكون على المستوى الفردى أيضا ، وكذلك على المستوى المجتمعى ، وفى الحديث « الدين النصيحة » ، وفى القرآن الكريم ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾، إن عمل الصالحات هو صورة لمرتبة العبادة ، والتواصى بالحق والصبر صورة لمرتبة العبودية التى هى دعوة الغير إلى الخير بعدما تخلق به صاحبه ، وهكذا فى الجانب الاجتماعى تخرج الأمة من بينها من يقوم بآداء واجب الإصلاح و النصح وانفاذ تعاليم الدين فى الناس وذلك بحسب طاقة الأمة وبقدر وسعها ، فما عجزت عنه سقط عنها ، ووجب عليها الأخذ بأسباب أدائه مستقبلا متى تطلب منها ذلك .

الرابع : نصرة الدين بإحياء ما اندرس منه ، وبيان ماخفى على الناس من أحكامه ، ومحاولة نشره وحفظه من النسيان والضياع أو الهوان ، وهو بتعبير الإسلام إعلاء كلمة الدين وإظهاره على غيره . قال ابن عبد السلام « قد أمرنا الله بالجهاد فى نصرة دينه ، إلا أن سلاح العالم علمه ولسانه ، كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه ، فكما لايجوز للملوك إغماد سيوفهم عن الملحدين والمشركين ، لايجوز للعلماء إغماد السنتهم عن الزائغين والمبتدعين » راجع « خطأ فى التفسير لوحيد خان » ، وهذا نوع من التجديد الذى تكفل الله ببقائه وظهور صاحبه على رأس كل مائة سنة .

بذلك يتبين لنا أيها الأمير ما هو المعنى الحقيقى لكلمة الدين ، وماهو المعنى

الاقتضائى التبعى لهذه الكلمة ، والآن نعود إلى تعريفك الجامع لكلمة دين لننظر فيها من جديد .

قال الشيخ : وبالنظرة المدققة فى كلامك أيها الامير وفيما نقلته كذلك عن المودودى حول المعنى الجامع لكلمة « الدين » نجد الأخطاء بعينها التى ذكرت فى المفاهيم الثلاثة السابقة – الإله والرب والعبادة - ، لقد سويت أنت والمودودى بين المعنى الأصلى الحقيقى لكلمة الدين وبين معناها الفرعى أو الاقتضائى أو اللزومى ، ثم قمتما بإحلال الفرع محل الأصل ، وبالتالى أصبح المعنى الاقتضائى لمفهوم كلمة الدين هو المحور والهدف والأساس ، وتحول المعنى الأصلى خادما وتابعا للمعنى الفرعى بناءا على هذا الترتيب الجديد ، وذلك على عكس منطق وطريقة القرآن ومبادىء الرسالة التى تجعل الفرع تابعا للأصل وخادما له ومترتبا عليه ، وكما يقول الأصوليون :

الأصل ماعليه غيره بنى والفرع ماعلى سواه ينبنى

ولتوضيح ذلك نذكر المسائل الآتية :

المسألة الأولى : تسوية الفرع بالأصل – فقد أخذ الأستاذ المودودى فى كتابه معانى أربعة لكلمة الدين ، رأى أنها كانت معروفة عند العرب لهذة الكلمة ، وأنهم كانوا يستخدمونها بهذة المفاهيم كلها ، كل مفهوم فى موضعه ، وعلى صورته ، ثم جعل يربط هذه المعانى بدلالات القرآن الكريم فيقول تحت عنوان «استخدام كلمة الدين فى القرآن » : فيتبين فيما تقدم أن كلمة الدين قائم بنيانها على معان أربعة ، أو بعبارة أخرى هى تمثل فى الذهن العربى تصورات أربعة أساسية «– لاحظ كلمة أساسية – أولها القهر والغلبة من ذى سلطة عليا ، والثانى الإطاعة والتعبد والعبدية من قبل خاضع لذى السلطة ، والثالث الحدود والقوانين والطريقة التى تتبع ، الرابع المحاسبة والقضاء والجزاء والعقاب . تنبه إنه وصف هذه جميعها بأنها تصورات أساسية وهذا غير صحيح ، ثم يقول بعد ذلك : « ...

نزل القرآن فوجد هذه الكلمة ملائمة لأغراضه فاقتناها واستعملها لمعانيه الواضحة المتعينة واصطنعها مصطلحا له مخصوصا ، فأنت ترى أن كلمة «الدين» فى القرآن تقوم مقام نظام بأكمله يتركب من أجزاء أربعة هى : الحاكمية والسلطة العليا ، الإطاعة والإذعان لتلك الحاكمية والسلطة ، النظام الفكرى والعملى المتكون تحت سلطان تلك الحاكمية ، المكافأة التى تكافئها السلطة العليا على اتباع ذلك النظام والإخلاص له أو على التمرد عليه والعصيان له .هكذا جمع الأستاذ المعانى اللغوية الأربع وسماها « أساسية »، ثم ذكر نفس المعانى وقال أنها وردت فى القرآن بنفس المفهوم ، ولم يفرق بينها من حيث الأساس والأصل أو من حيث التبعية والفرع ، إنما ذكر أن القرآن دل عليها جميعا وحسب ، وذهب يدلل على كل معنى بمفرده بمجموعة من الآيات التى يرى فيها تأييدا لرؤيته وفهمه ، ومرة ثانية أكرر أنه ذكر هذه المعانى، واستدل لها من القرآن الكريم دون أن يبين أى هذه المعانى هو الأصل وأيها هو الفرع ، ولا أيها هو المعنى الحقيقى ، والآخر هو المعنى الاقتضائى غير أنه فى التعريف اللغوى لكلمة الدين اعتبرها كلها معان أساسية كما سبق بيانه ، فسوى بينها بهذا الوصف.

المسألة الثانية : استبدال المعنى الفرعى بالمعنى الأصلى ليصبح الفرع أصلا والأصل فرعا :

لقد كتب الأستاذ تحت عنوان « الدين المصطلح الجامع الشامل » : « إلى هذا المقام قد استعمل القرآن كلمة الدين فيما يقرب من معانيها الرائجة في كلام العرب الأول ، لكننا نراه بعد ذلك يستعمل هذه الكلمة مصطلحًا جامعا شاملاً يريد به نظامًا للحياة يذعن فيه المرء لسلطة عليا لكائن ما ، ثم يقبل إطاعته واتباعه ويتقيد في حياته بحدوده وقواعده وقوانينه ، ويرجو في طاعته العزة والترقي في الدرجات وحسن الجزاء ، ويخشى في عصيانه الذلة والخزي وسوء العقاب» . ونحن لاننكر أن الدين فعلا هو نظام كامل للحياة ، وندعو أنفسنا

وغيرنا لجعل الدين منهاجا ونظاما تسير عليه حياتنا جميعا ، نحن لانختلف فى ذلك ولا فى أن مقتضى الدين أن تنتظم كل أمورنا وفق تعاليمه وارشاداته ، هذه مسلمات عندنا لايمكن أن نخضعها للاختيار والانتقاء ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ ،﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ، لكن كلامنا ورفضنا هو أن نرفع النظام ليكون هو محور الدين ومعناه الجامع ، بالرغم من كون الدين فعلا نظام لكنه فى جانب من جوانبه ، وليس النظام هو المعنى الشامل لجوانب الدين ولمزيد بيان نعرض لهذه المقارنة.

– الدين فى معناه الحقيقى الأصلى علاقة قلبية تربط العبد بربه ، بينما النظام هو علاقة ظاهرية ، أوامر تلقى وطاعة تنفذ .

– الدين شعور ينبع من داخل الإنسان ، يشعر فيه المرء بالقرب والأنس والشوق والتعظيم والإكبار لخالقه سبحانه ، بينما النظام علاقة تؤدى إلى الانضباط الظاهر، لادخل لها بالروح ولا القلب ، بمعنى أن النظام لايهتم بقلوب الناس انما يهتم بسلوكهم ، وبالتالى فما ينتج عن التدين من سلوك ينمو بشكل طبيعى لأن له جذورا فى قلب صاحبه وروحه ، بينما ماينتج عن النظام من سلوك يكون ضعيفا هشا سطحيا على غير أساس ، فليس له جذور فى القلب ، بل إن السلوك نفسه فى الدين يعمل على تزكية الروح وبلوغ السعادة النفسية ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ ، تصلى لتذكره ، وتصلى لأنك ذاكر له ، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ ، وعندما تذكره تشعر براحة وسكينة تملأ قلبك وتغشى حياتك وتجمل وجهك ، فتنعكس على محياك هالات التدين ، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ، ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ، ومهما كان فى حياتك من ذنوب خفية أو معلنة ، باطن الإثم وظاهره ، فالصلاة

والذكر ينهيان عن تلك المعاصى وذاك الإثم ، ويطهران العبد من أدرانهما ، هكذا السلوك فى الدين ، بينما فى النظام يقف عند المظهر ولا يعبأ ببواطن الناس ولابمشاعرهم وأحاسيسهم .

– الدين يشمل كل جوانب وأركان ومركبات الشخصية ، فتخرج سوية متزنة روحا وعقلا وبدنا وسلوكا ، بينما النظام مهما بولغ فى وصفه فهو منظومة قوانين وتعليمات تدخل ضمن مركبات الدين ولايستغنى بها عنه ، فالدين هو المعنى الشامل الكامل ، بينما النظام هو المعنى المجزوء الناقص الذى يحتاج إلى باعث وضابط وغاية ، أما الدين فهو نفسه الباعث والضابط والغاية التى يسعى المرء إلى تحصيلها والفوز بها .

– الدين يصلح للشخص دنياه وآخرته ، بينما القانون والنظام تصلح به دنياه ، ولادخل له بالآخرة ، ففى النظام غاية جهد العبد وبالغ همه التقدم فى الحياة والرفاهية والتمدن ، بينما فى الدين يسبق ذلك بتقدم روحى خلقى وسعادة دائمة لاتنقطع ولاتنتهى ولاتوصف بعبارة ، وقد نجد الكثيرين ممن اعتبروا النظام هو محور الدين وهدفه نجدهم يعانون من جفاف الروح وقساوة القلب على الرغم من براعتهم فى التنظير والتأطير ، فيعيش أحدهم فى وحشة مع نفسه فى الوقت الذى يرى أنه قدم أكبر الخدمات للإسلام وللإنسانية ، فاستمتع هو والناس بالتنظيروالتنظيم ، بينما حرم هو حرارة الشوق وحلاوة المناجاة ، وامتلأ صدره بدخان المناظرات السياسية والعلمية ، وربما لم تجد روحه نسيم النفحات الربانية.

هل عرفت أيها الأمير لماذا لايصح أن نرفع النظام ليكون هو المعنى الجامع للدين ،؟ لأن حقيقة العلاقة الروحية القلبية ستغيب وتنزوى ليحل محلها العلاقة النظامية التى تربط العبد بخالقه ارتباط الترس بأخيه دون وجود أى مشاعر أو

أحاسيس بينهما ، أما أهل الدين وأصحاب التدين فهم فى علاقتهم مع الله «يحبهم ويحبونه » ، ليس فقط يأمرهم فيطيعونه .

الدين بمعناه الأصلى الذى هو العلاقة الروحية بين العبد وخالقه ، هذا مطلوب فى كل الأوقات وكل الأحوال ومن كل الأشخاص ، فهو شعور الفطرة الذى لا غنى عنه ، بينما النظام والتعاليم والأوامر والتكاليف مطلوبة بحسبها ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، فالدين دائم دائب شامل والنظام مؤقت محدود ناقص .

بل إن النظام السياسى والفكرى والحكومى لا ينمو ولا يستقيم الا لدى أصحاب التدين الذين وجدوا حقيقة العلاقة مع الله ، ولذلك بوب العلماء باب السياسة الشرعية ، فنسبوها إلى الشرع ولم ينسبوها إلى النظام ، كما أنهم نسبوها إلى الشريعة ، ولم ينسبوا الشريعة اليها ، فيقولون النظام الإسلامى ، ولا يقولون الإسلام النظامى ، ذلك لأن الدين والشرع هما الأصل والحكم والنظام والسياسة هى الفروع التابعة لأصلها .

المسألة الثالثة : التعسف فى الاستدلال : -

نراك أيها الأمير فى استدلالك لفكرتك تتعسف فى تصريف آيات ودلالات القرآن لتذهب بها إلى صحة ماتعتقده وتقوله ، وأضرب لذلك أمثلة من الآيات التى اعتمدت عليها لاثبات مذهبك القائل بأن النظام هو روح الدين وجوهره ومعناه الشامل:

الآية الأولى قوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة] .فقد قسمت الآية إلى مقاطع واستنتجت من كل مقطع معنى ، ثم جمعت هذه المعانى كلها لكلمة الدين فى قوله ﴿وَلَا

يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ ، فاستنبطت من قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ المعنيين الأول والثانى : أى السلطة والحاكمية والطاعة ، واستنتجت من قوله ﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ معنى الجزاء والمحاسبة ، أما قوله : ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ ، فقد فسرتها بالنظام الفكرى والالتزام بالشرائع والقوانين الثابت تحت سلطان الحاكمية ، ثم جمعت هذه الأربع فى قوله ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ لتخرج بالمعنى الشامل للدين فى نظرك ، الذى هو سلطة وحكم ونظام وجزاء ، وهذا الاستدلال أصابه العور من عدة وجوه :

الوجه الأول : أنه لم يقل به أحد قبلك ، بل لم يشر إلى هذا التقسيم من قبلك أحد فيما أعلم ، ولو كان خيرا لسبقوك اليه ، إلا أن تقول ماقاله الشاعر :

إنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم يستطعه الأوائل

الوجه الثانى : أما استدلالك بقوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ على اثبات سلطان الله وحاكميته فهذا من الغريب ، بل من الغريب جدا ، كأنك تستدل بالإيمان بالله على إقامة الحكومة ، لقد بينا أن الحكم انما هو مقتضى من مقتضيات الإلوهية ، وأثر من آثارها ، وليست الإلوهية هى الحاكمية ، ولا الحاكمية هى الإلوهية فى معناها الأصلى كما تتصور أنت ، بل لم يعرف أحد الإله بأنه الحاكم ، ولم يقل غيرك بأن الألوهية هى الحاكمية ، كما لم يقولوا بأن الحاكمية هى الألوهية ، وإنما جعلوا الحاكمية أثرا من آثار الألوهية ، ومقتضى من مقتضياتها ، و لم يجعلوها أصلا لها فضلا أن يقدموها على الإلوهية كما فعلت أنت ..

الوجه الثالث : تفسيرك لقوله ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ بالنظام الفكرى والتشريعى المتكون تحت سلطان الحاكمية ، تحميل للكلمات مالاتحتمله .

الوجه الرابع : تفسيرك لقوله ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ بأنه يشمل المعانى الأربعة ، هذا

كلام يفتقر إلى القرينة ، بل إن من الأنبياء من عاش ومات دون أن يقيم حكومة لله فى الأرض ، ودون أن يقيم دولة لدعوته ، فهل هؤلاء الرسل لم يكونوا على الدين الحق ؟ ابراهيم ، وعيسى ، ويحيا ، وزكريا ، وغيرهم هل أقاموا دولة وحكومة ؟ إن قلت نعم فهات ما عندك ، وإن كانت الأخرى فدع ما تقول به من تفسيرك لكلمة « الدين الحق » بأنها تشمل المعانى الأربعة ، وإن قلت لم يفرض عليهم إقامة حكم اسلامى فقد نقضت قولك بأن السلطة والحاكمية هى الألوهية ، أو هى روحها وجوهرها ، إذ كيف ينزل الله رسالة خالية من جوهر الإلوهية وروحها ومعناها الأساسى كما تقول أنت ؟.

الوجه الخامس : هذه الآية تحدثت عن قتال أهل الكتاب ، وجعلت سبب قتالهم – بحسب سياقك – عدم الإيمان بالله ولا باليوم الآخر، وعدم تحريم ماحرم الله ، ورسوله ولأنهم لايدينون الدين الحق – بحسب تفسيرك لها – ، لكن عند النظر إليها بغير عينك نجد أنها جعلت انهاء القتال موقوفا على اعطائهم الجزية، فكيف تفسر قوله ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ بأنها تعنى المعانى الأربعة ،التى هى «سلطة وحكم ونظام وجزاء » ؟، ثم تكتفى منهم بإعطاء الجزية ؟ أليس فى هذا تعارض مع ماقدمت به ؟ فهل يأمر الله تعالى بقتالهم حتى يدينوا دين الحق كما تتصوره أنت ثم يكتفى منهم بإعطاء الجزية ويوقف قتالهم ؟ ثم كيف يقاتلوا حتى يدينوا دين الحق كما تقول ؟ كيف يمكن حملهم على الإيمان مع أن الإيمان محله القلب ، ولا سلطان عليه لأحد من البشر ؟ وهل يصح إيمان المكره شرعا ؟ ، وهذا مما يتنافى مع منطوق الآية كما ترى حيث جعلت الغاية فى قتالهم حتى إعطائهم الجزية ، كما أنه يتنافى مع مقتضيات العقول التى تمنع استمرار القتال إلى غاية غير محدودة ، ولايمكن تحديدها لأنها فى القلب كما ذكرنا ، فالمقصود إذن استمرار القتال حتى ينزلوا على حكم الإسلام ويخضعوا لسلطانه فى أمور الجزية ، أما إيمانهم فهو موكول إلى اختيارهم واقتناعهم ، ثم هم يتحملون جزاء هذا

الاختيار، فالآية تحدثت عن عدم إيمانهم ، وكذلك عن عدم خضوعهم لدين الإسلام ، ثم منعت حربهم إذا أعلنوا الطاعة والخضوع بدفع الجزية دون اشتراط الإيمان ، ما يدل على عدم استمرار القتال إلى حصول الإيمان منهم ، لأنه حينئذ يكون قتالا إلى ما لانهاية ، أو إلى غاية لايمكن ضبطها ، كما تتصور أنت أن الباعث على القتال هو عدم تدينهم بالدين الحق بمعناه الشامل كما تقول ، فإن قلت : نكتفى بحملهم على الإيمان الظاهر ونكل سريرتهم إلى الله ، قلنا : وهل يحمل الإسلام المنافقين على الإيمان ليظهروا اعتناقه ويكيدوا له كيدا ؟ اللهم لا، وإنما جاءت الآية فى سياق طويل عن الجهاد والقتال لقوم يحاربون الدعوة ، ويقاتلون الرسول ﷺ ، فأمر الله تعالى بقتالهم مبينا مااجتمع لديهم من شرور وفساد ، فهم أولا يقاتلون الإسلام ورسوله ، كما أنهم لايؤمنون بالله ، ولايؤمنون بالآخرة ، ولايعترفون بحرام أو حلال ، ولايدينون بدين صحيح بعد مبعثه ورسالته ﷺ ، فقد أضافوا إلى شرور كفرهم وعدم إيمانهم شر القتال للإسلام ورسوله ، استكبارا وعتوا وبغيا وعدوانا ، فلزم كسر شوكتهم ، وإرغام أنوفهم واستعلائهم الباطل ، وذلك برد العدوان الواقع منهم ، وحملهم على دفع الجزية وهم صاغرون ، جزاء ما حاربوا الإسلام وهم مستكبرون ، وليست الآية حديثا عن المعانى الأربعة ، ولاعن المعنى الجامع الشامل – النظام – الذى سميته بلاسبق من سلف ولاسند من خلف بـ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ ، فالآية وصف لأقوام وليست أمرا بقتالهم بسبب هذه الأوصاف ، وإلا لكانت نهايتها « حتى يدينوا دين الحق » وهى كما ترى لم تقل ذلك ، وإنما قالت ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ ، وبربط الآية بما قبلها ومابعدها من الآيات يظهر لك جليا صدق ماقلناه – راجع فى ذلك « القرآن والقتال» للشيخ شلتوت رحمه الله ،و «مائة سؤال عن الإسلام » للشيخ محمد الغزالى ، « العلاقات الدولية فى الإسلام » لأبى زهرة ، كما يوجد كلام طويل للمفسرين لم يقسموا فيه الآية هذا التقسيم الذى ذكرته أنت

أيها الأمير، وان شئت راجع فى ذلك الطبرى والقرطبى وابن كثير والألوسى وغيرهم لن تجد فى واحد منها هذا التقسيم ، ولاهذا الزعم . أرأيت كيف تعسفت فى استخراج الدليل على مذهبك بصورة لم تخدمك ولم يذكرها أحد قبلك ؟ ولا أقرها من العلماء أحد بعدك ؟ بل نجد أميرك المودودى الذى نقلت عنه هذا الكلام من خلال مصطلحاته الأربعة قد قال بخلافه فى كتابه الحكومة الإسلامية فيقول : « لقد أبيح فى هذه الآية قتال من لايتخذون هذه الشريعة التى أنزلها الله على يد رسوله ﷺ قانونا يحكم الحياة بأسرها ، وغاية القتال ليست رجوعهم مؤمنين واتباعهم دين الحق ، بل القضاء على نفوذهم وسطوتهم فلا يكونوا حكاما أو أولى أمر فى الأرض .....والجزية نظير ماينالة الذميون من أمن وحماية فى الدولة الإسلامية » . هكذا يقول المودودى فى حكومته الإسلامية ، فأى القولين نتبع ؟ ﴿ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

المجموعة الثانية قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، وقوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] ، وقوله ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩] ، وقوه تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [سورة النصر] .نراك تذكر هذه الآيات ثم تقول أيها الأمير: المراد بالدين فى هذه الآيات هو نظام الحياة الشامل لنواحيها من الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية ، ففى الآيتين الأوليين يبين الله تعالى أن نظام الحياة الصحيح المرضى عند الله هو النظام المبنى على إطاعة الله وعبديته ، وأما ماسواه من النظم ... فإنه مردود عنده – هكذا تقول –، ولكن هل هذا التأويل صحيح ؟ لننظر قبل الجواب إلى ماقاله المفسرون حول الآيتين السابقتين ، قال فى روح المعانى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ أى لادين مرضى عند الله تعالى سوى الإسلام » ، يقول وحيد

الدين خان « .... وتنصان صراحة على أن طريق النجاة يوم القيامة هو الإسلام ليس إلا ، ثم نقل عن الخازن قوله « ... يعنى الدين المرضى عند الله هو الإسلام ، كما قال تعالى ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ ، وفيه رد على اليهود والنصارى لما ادعت اليهود أنه لادين أفضل من اليهودية ، وادعت النصرانية أنه لادين أفضل من النصرانية ، رد الله عليهم ذلك فقال ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ .....ثم نقل ايضا قول الخازن « بين تعالى أن من تحرى بعد مبعثه ﷺ غير شريعته فهو غير مقبول منه » ، وقال ابن كثير « .... اخبارا منه تعالى أنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام ، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به فى كل حين حتى ختمهم بمحمد ﷺ الذى سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ص ، فمن لقى الله بعد مبعث محمد بدين على غير شريعته فليس بمتقبل » ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ، وقال فى هذه الآية مخبرا انحصار الدين المتقبل عنده فى الإسلام » ، ثم يقول العلامة السعدى فى تفسيره « يخبر تعالى أن ﴿ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أى الدين الذى لادين سواه ولامقبول غيره ، هو الإسلام » ، وهو الانقياد لله وحده ظاهرا وباطنا بما شرعه على ألسنة رسله ، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ، فمن دان بغير دين الإسلام فهو لم يدن لله حقيقة ، لأنه لم يسلك الطريق الذى شرعه على ألسنة رسله » .

هذة نصوص العلماء لم يذكر واحد منهم كلمة النظام ، ولا نظام الحياة ولا شيئا من هذا القبيل ، وإنما ذكروا دين الإسلام المنزل على الرسل جميعا وخاتمهم محمد ص . لكنك تصر أيها الأمير كل الإصرار على تفسير الدين بالنظام ، فتكرر نفس المعنى واللفظ حول تفسيرك لآية التوبة ، وآية الأنفال ، فتعتبر أن هدف الرسالة ظهور النظام القائم تحت مظلة الإسلام على كل الأنظمة الأخرى ، لتؤكد أن الهدف الأول من الرسالة هو إقامة نظام الحياة ، ولكن بالنظر إلى واقع الدعوة

لانجد هذا التفسير ، ففى تعامله مع مشركى العرب وقد قاتلوه ، وهم أعرف الناس بصدقه وأمانته ، وأولى الناس بتصديقه واتباعه ، فقد بعث منهم وأرسل فيهم ، وهم أول من عجز عن مجاراة القرآن وعن الاتيان بشىء من مثله رغم فصاحتهم وبيانهم ، وهم أكثر وأول من حاربه وآذاه ، بل وطارده وأصحابه فى البلاد والأقطار ، ونكثوا عهدهم معه ، وتنكروا لكل أعرافهم ومبادئهم التى عاشوا يقدسونها ويعظمونها ، فكان لهم حكم خاص على أحد الأقوال دون غيرهم، وهناك آراء أخرى بصدد حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله .....» وهو حديث صحيح كما تعلم أسوق لك منها ماقاله ابن حجر فى الفتح : « فان قيل مقتضى الحديث قتال كل من امتنع عن التوحيد فالجواب من أوجه :

أحدها : دعوى النسخ بأن يكون الإذن بأخذ الجزية والمعاهدة متأخرا عن هذه الأحاديث ، بدليل أنه متأخر عن قوله تعالى « فاقتلوا المشركين » التوبة.

ثانيها : أن يكون من العام الذى خص منه البعض ، لأن المقصود من الأمر حصول المطلوب ، فاذا تخلف البعض لدليل لم يقدح فى العموم .

ثالثها : أن يكون من العام الذى أريد به الخاص ، فيكون المراد من الناس فى قوله « أقاتل الناس » أى المشركين من غير أهل الكتاب ، ويدل عليه رواية النسائى بلفظ « أمرت أن أقاتل المشركين » ، فإن قيل اذا تم فى أهل الجزية لم يتم فى المعاهدين ولافيمن منع الجزية ، أجيب بأن الممتنع فى ترك المقاتلة رفعها لاتأخيرها مدة كما فى الهدنة ومقاتلة من امتنع عن أداء الجزية بدليل الأية .

رابعها : أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة التعبير عن إعلاء كلمة الله ، واذعان المخالفين ، فيحصل فى بعض بالقتل

وفى بعض بالجزية ، وفى بعض بالمعاهدة .

خامسها : أن يكون المراد بالقتال هو أو مايقوم مقامه من جزية أو غيرها .

سادسها : أن يقال الغرض من ضرب الجزية هو اضطرارهم إلى الإسلام ، وسبب السبب سبب ، فكأنه قال : حتى يسلموا أو يلتزموا مايؤديهم إلى الإسلام وهذا أحسن .... » . ، وللشيخ محمد الغزالى كلامه حول هذا المعنى يقول : «.... فقد طارت أذهان إلى أن الناس تعنى البشر كلهم وهذا غلط باجماع العلماء ..... فليست الغاية من القتال إذن أن يقولوا لا إله إلا الله كما جاء فى الحديث ..... إن الناس هنا ليسوا البشر جميعا إنهم العرب وحسب ، رأيت فريقا يخدعه الظاهر القريب من الحديث فيتوهم أن الرسول يشن حربا شاملة على البشر ، ولايزال يحرجهم حتى ينطقوا بالشهادتين ، وهذا فهم ... لم يقل به فقيه » وهذا ابن تيمية يقرر : « والمعنى أنى لم أؤمر بالقتال إلا إلى هذه الغاية ، ليس المراد أنى أمرت أن أقاتل كل أحد إلى هذه الغاية ، فإن هذا خلاف النص والإجماع ...» ، وكذلك يقول الصنعانى : « أن الحديث سيق لبيان الغاية التى أبيح إليها القتال ، بحيث إذا فعلوها حرم قتالهم ، أو أن المعنى أنى لم أؤمر بقتال الناس إلا إلى أن يقع منهم القول ، لاأنى أمرت بشق قلوبهم ، وحمل الحديث على هذا متعين لأن الواقع أنه ص ماقاتل الناس إلى أن يقولوا كلمة التوحيد ، بل كف عن أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية وكذلك المجوس ، ... وقيل المراد بالحديث المحاربون ولفظ الناس من العموم الذى يراد به الخصوص » ، هذه بعض نصوص الفقهاء لاتقول بما قلته من ضرورة القتال حتى يحصل منهم الإيمان ، وهذا الكلام يتوجه فى مشركى العرب ، بينما طرح خيارات ثلاثة لأهل الكتاب ، هى الإسلام أو الجزية أو السيف ، وفى كلا الفريقين لم يظهر الدين بمعناه الشامل الذى تفسره به ، ففى المشركين هزمهم سياسيا ولكنه لايقدر على إرغامهم على الدخول فى الإسلام فهذا ليس له « انك لاتهدى من أحببت » ، وفى أهل الكتاب انتصر عليهم سياسيا وبقى منهم من بقى على عقيدته كذلك ، وبالتالى ليس الهدف الأول والأساس هو

الاظهار الكامل فى كل الجوانب ، وعلى كل الأنظمة كما تقول أنت ، إنما المعنى كما يقول المفسرون « هو الإظهار العام ، إما على الأديان الأخرى أو على أفرادها»، ففى الكشاف يقول : « أى على أهل الأديان كلهم ، أو ليظهرن دين الحق على كل دين » ، وعند النسفى مثل ذلك ،وبالتالى فظهوره لايعنى اعتناقه من الجميع ، ولكنه بمعنى معرفتهم بأنه الحق واقرارهم على أنفسهم بذلك حالا أو مقالا ، حتى ولو لم يدخلوا فيه ، أما آية الأنفال فيكفى أن أنقل لك تضارب أقوالكم حولها فى موطنين من الكلام ، فتارة تقول نقلا عن المودودى « المراد بالدين نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية » ، وتارة يقول المودودى حول الآية نفسها فى كتابه تفهيم القرآن : «ويكون الدين لله سواء آمنوا أو لم يؤمنوا، ولكن السلطان لله على الأرض ، ويقاتلون لأجله »، ففى المصطلحات فسر الدين بالنظام الشامل بما يؤدى لقتال الناس كافة حتى يعتنقوا الإسلام ، وهذا مخالف لمبدأ لا إكراه فى الدين ، كما أنه لا يمكن ضبطه ، بينما فى تفهيم القرآن يجتزىء الدين على السلطان فى الأرض ويجعل القتال لأجله ، وليس لاعتناق الإسلام وهذا بالتأكيد هو الصحيح ، اذ لا سلطان لأحد على عقائد الآخرين وقلوبهم .

أما سورة النصر فلا يختلف الكلام فيها عن سابقتها من الآيات ، فالدين فيها ليس النظام كما تقول وانما هو: « فجعل الناس يدخلون فى الإسلام فوجا بعد فوج كما قال ابن عباس ، ورأيت أهل اليمن يدخلون فى ملة الإسلام جماعات كثيرة بعدما كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين ، أو هى ملة الإسلام التى لايضاف إلى الله دين غيرها » ، فليس فيما ذكروا أيضا كلمة النظام الشامل ، وليس الفتح والنصر تتويجا لإقامة نظام الحياة الانقلابى كما تعتقدون ، إنما هو كثرة دخول الناس فى دين الإسلام المرضى والمقبول عند الله تعالى .

إن الرسول الأعظم ص حدد جانبا من مهمته فى حديث «أمرت أن أقاتل

النـاس حتـى يقولـوا وفى لفـظ يشـهدوا الا الـه الا الله وأن محمـدا رسـول الله » والحديث فى الصحيحين كما هـو معلـوم، وبصـرف النظـر عـن مـن هـم النـاس المعنيون فى الحديث ، وهم مشركو العرب الذين قاتلوه ، وليسوا جميع الناس كمـا تذهب أنت وأميرك ، نجده ﷺ يقول « حتى يشهدوا ألا اله الا الله ....» ، ولم يقـل «حتى يقيموا نظاما وينصبوا حكومة ، وإن كان إقامـة النظـام وتنصـيب الحكومـة واجبا من واجبات الدين لكنهما ليسا هما الدين ، وليس كل منهما مطلوبا باطلاق وإنما بشروط وقيود وضوابط كمـا سـبق بيانـه ، وسـيأتى بيـان حكـم الإمامـة فى موضعه من كتاب «الحاكمية والضوابط المنسية » ، باذن الله .

وبناءا على ما سبق نجد أن للألفاظ معنى أصليا وآخـر فرعيـا ، معنـى أساسـيا وآخر اقتضائيا ، ولابد أن نفرق بين المعنيين حتى لا ننحرف عن الجادة ولانحيـد عن الهدف ، ولا تضطرب لدينا الأولويات ، ولا تختلط علينا الوسائل بالغايات ، ويحضرنى هنا بحث يفند هذه الأفكار التى استقيتها أنت أيها الأميـر مـن الأسـتاذ المودودى وغيره أضعه بين يـديك عسـى أن يسـاهم فى تصـحيح وضـبط بعـض المفاهيم المتعلقة بالتفسير السياسى للدين ، واعتبـار السـلطة والحكـم هما لبـه وجوهره وروحه وغايته ، وعرض الحاكمية كمترادف للسلطة التـى تعنـى التنفيـذ وليس مترادفا للسيادة التى تعنى المرجعية العليا والحجة الدامغة كما تقـول أنـت ومن معك أيها الأمير .

يقول الدكتور صبري محمد خليل أسـتاذ فلسـفه القـيم الإسـلامية في جامعـه الخرطوم : « يعتبر أبو الأعلى المودودي رائد مـذهب التفسـير السياسـي للـدين ، وهو مذهب معين في تفسير طبيعة العلاقة بين الدين والسياسة ، يقـوم عـلى إثبـات العلاقة بين الدين والسياسة ، ولكنـه يتطـرف في هـذا الإثبـات ، إلى درجـه جعـل العلاقة بينهما علاقة تطـابق و خلـط ، وليسـت علاقـة ارتبـاط ووحـده ، وبالتـالي

يساوى بين الدين والسياسة في الدرجة ، وقد يتطرف فيجعل السياسة أعلى درجه من الدين ، حين يجعل الغاية هي السلطة – الدولة – والوسيلة هي الدين ، بينما الدين هو الأصل«الغاية» والسياسة هي الفرع «الوسيلة»، أى أن الدين بالنسبة للسياسة هو بمثابة الكل للجزء يحده فيكمله ولكن لا يلغيه ، ومرجع هذا التطرف في الإثبات أن هذا المذهب إنما ظهر في المجتمعات المسلمة في العصور الحديثة والمعاصرة كرد فعل على الليبرالية ، والتي باستنادها إلى العلمانية نفت اى علاقة للدين بالسياسة ، وقد استخدم البعض مصطلح «الإسلام السياسي» للتعبير عن هذا المذهب، لكن – وكما أشار الكثير من الباحثين – فان هناك الكثير من الإشكاليات المتعلقة بالمصطلح ، فالمصطلح يوحى بأنه ليس ثمة إسلام واحد ، وأنه ثمة إسلام سياسي وآخر غير سياسي ، فضلا عن نسبه الأصل(الإسلام) إلى الفرع(السياسة) ، لذا نفضل استخدام مصطلح «التفسير السياسي للدين» ، وليس مصطلح« الإسلام السياسي»، مع ملاحظة أن المصطلح الأخير يصدق في وصف أحد الأخطاء التي وقع فيها مذهب التفسير السياسي للدين ، وهو نسبه الأصل (الإسلام)إلى الفرع(السياسة) وليس العكس .

*** ويوضح دكتور صبرى خليل مخاطرالتفسير السياسي للدين عند المودودى، وكيف جعل الدين وسيلة وليس غاية فيعلق قائلا :**

أولا : الدين وسيلة لتحقيق غاية إقامة الحكومة الإلهية : يجعل المودودى الدين مجرد وسيله لتحقيق غاية هي إقامة الحكومة الإلهية ، حيث يقول (فغاية مهمة الأنبياء عليهم السلام في الدنيا هي إقامة الحكومة الإلهية، وتنفيذ نظام الحياة بجميع أجزائه الذي جاؤوا به من عند الله ...) ، ويقول المودودى أيضا فى معرض إشارته لإقامة الحكومة الإلهية (هذه هي الغاية التي من أجلها فرض الإسلام عبادات الصلاة والصوم والزكاة والحج ، والتعبير عنها بالعبادة لا يعنى أنها العبادة ليس غير ، بل معنى ذلك أنها تعد الإنسان لتلك العبادة) (نظره فاحصه على

العبـــادات الإســـلاميه/ ج ١ / ص١٣)، وبمـــا أن لمصـــطلح «الحكومـــة الإلهية» دلالة سياسية واضحة ، فان هذا القول يلزم منه جعل الغاية هي السياسـة « بما هي النشاط الهادف للوصول إلى السلطة ، أو السيطرة على الدولة ، والوسيلة هي الدين ، وهذا القول يتعارض مع التفسير الـديني -الإسـلامى – للسياسـة، الذي عبر عنه العلماء بمصطلح السياسة الشرعية – لأنه يجعل الدين هـو الأصـل «الغاية» ، والسياسة هي الفرع« الوسيلة» ، وهو ما أشارت إليه كثير من النصـوص كقولـــه تعـــالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج] ، فالآية تعتبـر التمكـين - بمفهومـه الشـامل الـذي يتضـمن البعـد السياسـي- وسـيلة للـدين« المتضـمن للعبـادات والأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر» وليس العكس.

*** ثانيا : اختزال الدين في الحاكمية واختزال ألحاكمية في بعدها السياسي :**

وكمـا يقـوم المـودودي بعمليـة اختـزال مـزدوج ، اختـزال الـدين في مفهـوم ألحاكمية ، ثم اختزال مفهوم الحاكمية في بعدها السياسي نجده يفعل ذلـك أيضـا مع المصطلحات الأربعة التى اعتبرها محور دعوة القران الكريم حيث يقول ب :

أ- ضيق معاني المصطلحات الأربعة (الإله والرب والـدين والعبـادة) بعـد عصر نزول القرآن وتبدل معانيها الأصلية ، وتبدأ عملية الاختزال المـزدوج هـذه عند المودودي بتقريره أن معاني المصطلحات ألقرآنية الأربعة الأساسية (الإلـه والرب والدين والعبادة) قد ضاقت معانيها بعد عصر نزول القرآن وتبدلت معانيها الأصلية.

ويقول دكتور صبرى خليل عن اختزال معـانى هـذه المصـطلحات فى مفهـوم الحاكمية والسلطة :

ب- قصر معاني المصطلحات الأربعة على مفهـوم الحاكميـة وقصـر الأخيـر

على معنى السلطة : وتكتمل عملية الاختزال المزدوج هذه عند المودودي من خلال تقريره أن محور المصطلحات ألقرآنية الأربعة الأساسية وفكرتها المركزية هي «حاكمية الإله والرب»، أما الدين والعبادة فهما طريقان يؤديان إليها - أبو الحسن الندوى التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبو الأعلى المودودي / دار ابن كثير / ص٦٣. - حيث يقول المودوى : (فخلاصه القول أن أصل الألوهيه وجوهرها هو السلطة....ففي جميع هذه الآيات من أولها إلى آخرها لا تجد إلا فكرة رئيسيه واحدة ، ألا وهى أن كلا من الإلوهية والسلطة تستلزم الأخرى) (المصطلحات الأربعة في القران من ص٢٣). ويقول أيضا (فبقراءة هذه الآيات بالترتيب الذي سردناها به يتبين للقاريء أن القرآن يجعل الربوبية مترادفة مع الحاكمية والملكية) المصطلحات الأربعة في القرآن / ص٩٣. ويكشف دكتور صبرى تعارض فكره ضيق معاني المصطلحات الأربعة وتبدل معانيها الأصلية مع الضوابط الشرعية في عدة نقاط قائلا :

إن فكرة ضيق معاني المصطلحات الأربعة (الإله والرب والدين والعبادة) بعد عصر نزول القرآن وتبدل معانيها الأصلية تتعارض مع العديد من الضوابط الشرعية :

أولا : فهي تتعارض مع تقرير الله تعالى أن القرآن الكريم يتصف بالإبانة والوضوح ، قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف:١-٢]، وقال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر:١]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة] ، وهذه الإبانة تشمل الكلمات ومعانيها .

ثانيا : كما تتعارض هذه الفكرة مع قاعدة الحفظ الالهى للقرآن الكريم التي وردت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وهذا الحفظ الالهى للقرآن يشمل كلماته ومعانيه .

ثالثا: كما تتعارض مع تقرير النصوص عدم اجتماع الأمة على ضلالة ، واستمرار ظهور طائفة على الحق وهي أهل السنة والجماعة بمذاهبها الكلامية والفقهية المتعددة قال الرسولﷺ (لا تجتمع أمتى على ضلاله) وقال (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك) . (أبو الحسن الندوى/ التفسير السياسي للإسلام في مراه كتابات الأستاذ أبو الأعلى المودودي / دار ابن كثير / ص ٣٨وما يليها.) .

ويعلق دكتور صبرى خليل على الخلط بين توحيد الربوبية وتوحيد الالهية فيقول : الخلط بين توحيد الربوبية والإلوهية:

كما أن تفسير المودودي لمصطلحات (الإله والرب والحاكمية .) يقوم على الخلط بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية ، وبين صفات الربوبية وصفات الإلوهية، فمضمون توحيد الربوبية أن الله تعالى ينفرد بكونه الفاعل المطلق فى الوجود ، .... وأما مضمون توحيد الإلوهية أن الله تعالى ينفرد بكونه الغاية المطلقة للموجودات ، يقول ابن تيمية (.... ولكن المراد المستعان على قسمين : منه ما يراد لغيره ..... ومنه ما يراد لنفسه فمن المرادات ما يكون هو الغاية المطلوب فهو الذي يذل له الطالب ويحبه وهو الإله المعبود ومنه ما يراد لغيره) .. فالإلوهية عند المودودى تتضمن تصريف أمور الكون ، بينما هذا التصريف هو من خصائص الربوبية لا الإلوهية ، فضلا عن أنه يعتبر الحاكمية من صفات الإلوهية ، بينما الحاكمية من صفات الربوبية وليست من صفات الإلوهية ،.... أ هـ .

ختم الشيخ حديثة الطويل مع الأمير المتحمس حول المصطلحات الأربعة ثم توجه اليه قائلا :

بهذا الكلام القيم للدكتور صبرى خليل ، وللشيخ الندوى في تقييم كل منهما للتفسير السياسى للدين الذى تبناه المودودى ، ولمفهوم مصطلحاته الأربعة ،

الذى تبنيته ونقلته عنه أيها الأمير ينتهى بنا الحديث حول مصطلحاتك الأربعة ، ونخلص في النهاية أنك أيها الأمير ومن نقلت عنهم قد ظلمتم هذه المصطلحات، وفسرتموها على غير وجهها ، وجلبتم بهذا التفسير المتوهم على الأمة الويلات ، وسعرتم الحروب ، وبذرتم بذور التكفير والفتنة ، ورميتم الأمة بالجهل أوباتباع الهوى ، أسأتم الظن بالعلماء ، وأحسنتموه بأنفسكم ، وزكيتم ذواتكم وأفكاركم ومناهجكم ، ورميتم الفقهاء والمفسرين بالتلبيس والتدليس ، والتحريف والتزييف ، ولعله الآن قد بان من الذى حرف وانحرف ، من الذى زاغ وتطرف ، من الذى جفى وجافى منهج الإسلام ، وخالف رسول الإسلام ، وحمل القرآن الكريم مالايحتمله ، وكم أنا عازم أكثر من ذى قبل على استكمال الحديث والمحاورة حول الكثير من المصطلحات والموضوعات ، التى هى بحاجة إلى مزيد بحث وتحرير ، نعالجها تباعا بمشيئة الله ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ .